الحيـــاة الادبية في الحجاز

تتمة النهضة السعودية

للأستاذ أحمد أبو بكر ابراهيم

الخطابة :

لقيت الخطابة عناية فائقة من أدباء الحجاز فى العهد الأخير ، فسلكت طريقها إلى النهوض ووجدت فى المجتمعات والأندية تشجيعاً دَفَع بها إلى الأمام ولكنها مع ذلك لا تزال عنـــد الحجازيين متأخرة عن الكتابة لأنها لا تروج إلا فى الرجّات العنيفة التى تساق إليها الشعوب ولا تنمو إلا فى ظل الخلافات المذهبية والسياسية ، والحجاز — كما يعلم الناس جميعاً — آمن هادئ لا تتوزعه القلاقل ولا تثور به الخلافات ، ثم إنه بعيد عن التحزب والحزبية ولا يعرف معنى المنافرات والمذاهب السياسية وهى التى تؤجج نيران الخطابة وتبعث فيها القوة والحياة .

ولعل الذى بعث فى الخطابة الحجازية بعض الحياة فى العهد الأخير إنما هو نشاط الشبان ومساعدة أولى الأمر من الساسة وقادة الفكر ؛ فهم يهتمون بالأندية الأدبية التى تقام فى المدن الكبيرة ويولونها من عطفهم وعنايتهم ويعهدون لها السبيل لأداء مهمتها على الوجه الأكمل ، فسمو الأمير فيصل والشيخ محمد سرور الصبان وغيرهما لهم أياد محمودة فى تشجيع القائمين بها ، فهم يشعرونهم دائماً بالعطف والتكريم ؛ ولهذا نرى هذه النوادى جادة ناشطة ، ونرى القائمين بها يحددون يوماً من أيام الأسبوع يجتمعون فيه حيث يستمعون إلى خطبة جيدة أو محاضرة قيمة حتى إذا ما انتهى القائل علقوا على كلامه بالنقد أو الإعجاب .

وليس فى الحجاز من ألوان الخطابة غير خطب المحافل والخطب الدينية ، ولعل أولاها أرقى من الثانية ؛ إذ تقال فى مناسبات التكريم وفى المحافل التى تكثر فى الحجاز فى موسم الحج وفى الدارس فى المناسبات الكثيرة .

والخطب الدينية فى الحجاز أقل من خطب المحافل ؛ فلا تكاد تعدو خطب الساجد . ويظهر أن الحالة الدينية هناك لا تدعو إلى هذا اللون من الخطب : فالناس هناك منصرفون إلى العبادة ، بعيدون عن الانغماس فى الشهوات ، وإنما يلقى هذا النوع من الخطابة رواجاً فى المجتمعات التى يحيد الناس فيها عن جادة الصواب فيجد الوعاظ عندئذ مجالا لدعوتهم ومحلا لمظاتهم ، فلا يكاد الزائر يسمع هناك إلا الخطب التى تلقى فى الحرمين والمساجد الأخرى فى الجمع والأعياد .

وقد كان الارتجال غير معروف إلى عهد قريب فى الحجاز ، ولكن العهد السعودى الذى شمل كل ناحية بالقوة خلق فى الناشئين من الخطباء الاعتداد بالنفس فارتجلوا فى المناسبات الاجتماعية خطباً لها مكانتها الأدبية .

ولا بد لى أن أشير هنا فى هذه الكلمة إلى أثر « المذياع » فى الخطابة ، فهو — وإن توهم بعض الناس أنه قليل الخطر — ذو أثر فعال فى هذا الفن من الأدب ، فقد كان فى السنين الأخيرة حلقة الاتصال بين لهجات الشرقيين : فى النطق والمواقف ومقاطع الكلام ، ولهذا تجد المحدثين من خطباء الحجاز يتأثرون الخطباء المصريين فى مواقفهم وطرائقهم ، على حين تجد القدامى منهم يختلفون عنهم فى الأداء واللهجة ، وما ذلك إلا لأن الحديثين نشأوا يستمعون إلى خطباء مصر فقلدوهم وتأثروا خطاهم ، ولم يستطع القدامى مجاراتهم فى هذا السبيل بعد أن سلخوا عهداً طويلا وهم على طريقتهم الأولى .

الصحافة :

لم يكن للصحافة خطر كبير قبل العهد السعودى وإن صدر بعضها قبله ، فلما كانت الحيـــاة الجديدة فى ظل جلالة الملك عبد العزيز آل سعود ، نشطت حركتها وأخذت تناضل فى سبيل الأدب والإصلاح الاجتماعى ، فكان يصدر منها إلى عهد قريب صوت الحجاز وأم القرى والمدينة المنورة وغيرها ، وكان بجانب هذه الجرائد بعض المجلات التى تتناول الموضوعات العلمية والأدبية كمجلة المنهل لصاحبها الأستاذ عبد القدوس الأنصارى ، وقد قرأت حديثاً فى كتاب « ماذا فى الحجاز » للأستاذ محمد أحمد جمال أن هذه الصحف قد عطلت بسبب غلاء الورق ولم يبق منها